



المشهد الأكثر تداولًا وإثارة أمس عبر موقع الأخبار والوكالات الدولية وصفحات التواصل الاجتماعي، هو مشهد الإهانة المذلة التي تلقاها رئيس النظام السوري بشار الأسد في مطار "حميميم" في اللاذقية على ساحل البحر المتوسط، والمشهد وما سبقه يمثل كتلة من الهوان الذي لحق برئيس تكبر على شعبه، ورفض أن يستجيب لنداءات الحرية والكرامة والعدالة، ورفض أن يقبل بتناول سلمي للسلطة، فحرك دباباته لقمع شعبه، فكان أن فتح أبواب الجحيم، وحول سوريا إلى غابة يسكنها كل ضباع الأرض من كل جنس وملة وقومية، دولاً و مليشيات وجيوشاً وعصابات.

بوتين عندما قرر زيارة سوريا لم يذهب بطائرته إلى دمشق العاصمة، وقد كان قادراً على ذلك، بل قرر أن ينزل في قاعدة جيشه على ساحل المتوسط، ثم استدعي بشار الأسد من دمشق لكي يكون في استقباله تحت الطائرة هناك، ولبشار قصره الرئاسي في اللاذقية إلا أن بوتين لم يذهب، واكتفى بمقابلته في القاعدة العسكرية، وعندما هبطت الطائرة لم يتقدم بشار الأسد بحكم أنه الرئيس المفترض للدولة التي تقع هذه الأرض في سيادتها، وإنما تقدم بوتين ضابط كبير في الجيش الروسي وأعطاه التحية وتحدى معه، ثم بعد ذلك سلم على بشار الذي ارتمى في حضنه من جديد، كما يأوي الطفل إلى صدر أمه، وبعده صافح بوتين قادة جيشه هناك، ثم سار معهم عدة خطوات وبشار الأسد يسير في الطابور الثاني، خلف بوتين والقادة العسكريين، وهو مشهد مهين للغاية لرئيس دولة مفترض، ثم بعد ذلك انطلق بوتين بخطى مسرعة إلى منصة لكي يحيي علم بلاده ويلقي كلمة فاسرع بشار الأسد لكي يلحق به ويسير معه، فإذا بأحد الضباط الروس يمسكه من ذراعه ويجره للخلف وينعه من الاقتراب من بوتين فاستجاب له بشار بإذعان واضح وابتسامة تعبّر عن ارتياكه ووقف في مكانه، وهي اللقطة التي توقف عندها الملايين أمس غير مصدقين لها من فرط الإذلال فيها.

هذا المشهد كله يوضح للجميع المال الذي انتهى إليه بشار الأسد، مجرد خادم ذليل تافه يقلّاعب به الروس، يخدمهم ويحتقرّونه، رغم أنه يعطيهم كل شيء ويسلم لهم بكل شيء ومحهم قواعد في سوريا لمدة مائة عام مقبلة، ياع نفسه للروس، لكنه تكبر على أن يستجيب لنداءات شعبه من أجل الحرية أو حتى الحوار السلمي حول المطالب التي كان المتظاهرون في الربّيع العربي السوري ينادون بها أسوة بأشقائهم في مصر وتونس واليمن ولibia، وصدقت فيه الكلمة التي تنسب إلى الزعيم النازي هتلر عندما سأله عن أحق الناس الذين قابلهم في حياته.. أجاب: أولئك الذين ساعدوني على احتلال بلدانهم! وهكذا هم الطغاة، أذلاء صغار أمام الأجنبي أشداء قساة على شعوبهم، يقدمون أسوأ التنازلات للقوى الأجنبية من أجل تثبيت ملوكهم أو تعزيز بقائهم على كراسيهم، ولكنهم لا يقدمون أي تنازل مهما كان صغيراً لشعوبهم ويستأسدون عليهم، لذلك يبقى دائماً مثل هؤلاء الديكتاتوريين التافهين أكبر خطر على أمن أوطانهم القومي، فضعفهم في الداخل وفقدانهم للشرعية الحقيقية المستمدّة من شعوبهم يجعلهم خاضعين للاسترزار الخارجي، ومستعدّين لتقديم أي شيء وبيع أي شيء من أجل حمايتهم من السقوط أمام شعوبهم، لأنّهم يعرفون مصيرهم إذا سقطوا من كراسيهم، فتراث القمع والسحق والدم والإذلال والمعتقلات والسجون الذي خاضوا فيه أكثر مرارة من أن ينساه أحد.

لا يمكن لطاغية مجرم مثل بشار الأسد، ارتكب كل هذه الجرائم في حق شعبه، وقتل نصف مليون تقريباً، نصفهم من الأطفال والنساء، وهدم عشرات المدن على رؤوس سكانها، وهجر حوالي ثمانية ملايين سوري خارج بلاده، فضلاً عن الآلاف الذين قتلهم تعذيباً في السجون وشاهد العالم ملفاتهم بالصور الموثقة، وباع سوريا ورهنها للروس والإيرانيين، لا يمكن أن يكون له مستقبل في حكم سوريا، وهذه بديهيّة سياسية ليست بحاجة إلى تأكيد أمريكي ولا نفي روسي، ولكن المشهد الذي جرى أمس كشف عن أنّ الروس بدأوا العمل الآن وفق تصور واضح أنّ بشار ليس في صورة مشهد سوريا الجديدة، وأنّ بقاءه هو مجرد ستار أو "خيال ماته" مؤقت لحين ترتيب الأوضاع في دمشق والتوصّل إلى تسوية شاملة للأزمة التي طالت فصولها وتعقدت مساراتها الوطنية والإقليمية والدولية.

المصادر:

المصريون